أحاديث فى العلاقات الاجتماعية

تكافل الأمة

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**».

***

هذا الحديث الشريف من جوامع الكلم لرسول الله ﷺ، حوى اتجاهات أخلاقية واجتماعية وفكرية نبيلة الهدف عظيمة الخير.. فهى تربط الأخلاق بالإيمان، وتمازج بين العقيدة والعمل، وتعمق علاقة الدنيا بالآخرة..

فتنفيس كروب الناس وإزالة همومهم، والتيسير على الناس وتوسيع مواردهم، والستر على الناس وإظهار محاسنهم، والتكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع.. هذه القضايا لو أحسن الناس إدراكها وتواصوا بها وجعلوها دستور حياتهم لسعدوا السعادة الكبرى وغنموا الغنيمة العظمى وعاشوا عباد الله إخوانا.

إن المدخل لكل هذه القضايا هو الإيمان بالله واليوم الآخر. فمتى أيقن الإنسان بأن الله تعالى هو الخالق البارئ المصور، وأن الله سبحانه هو الرازق المدبر الحكيم، جعلنا مستخلفين فى نعمه وأمرنا بحسن الانتفاع بها، ووعد وأوعد فى ميقات يوم معلوم يحشر فيه الأولين والآخرين ولا يظلم ربك أحدًا. متى أيقن الإنسان بكل ذلك تتداعى على يديه سائر ألوان الخير، وتتواصل كل أنواع المعروف، وتكون كل الطاقات مباركة عمارة للدنيا وزادًا للآخرة..

قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[1]. ولعل حكمة بالغة تتجلى فى البيان القرآنى حين ربط تسابق الخيرات بالمرجع إلى الله وموقف الحساب والجزاء فى اليوم الآخر فقال جل شأنه:

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان (١٣٣ - ١٣٤).

﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾[1]، وقال جل جلاله: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

تنفيس الكروب

نقف مع الفقرة الأولى للحديث الشريف: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**».

التنفيس – في الأصل – من تنفيس الخناق، وهو الحبل الذى يخنق به، أى إرجاء الخناق حتى يأخذ المخنوق نفسًا . .

والمراد هنا محاولة الإنسان تفريج الكروب عن أخيه، وإزاحة الهموم من حوله، ومساعدته فى تجاوز المحنة وعبور الشدة حتى ينشرح صدره ويهدأ باله وتطمئن نفسه. .

ويتحقق ذلك بأن يقف المرء مع أخيه يتكفل به وينصره وينصح له فى كافة أنواع الكروب وألوان الشدة. .

إن كرب الإنسان قد يكون نتيجة ضيق ذات اليد فيمنحه أخوه ما يساعده ويحقق قول رسول الله ﷺ: «**من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له. .**».

وقد يكون الكرب بسبب مرض أقعد الإنسان فيأتى أخوه ويؤنس وحشته ويفرج كربته بعيادة المريض والدعاء له ومساعدته فى العلاج ومعرفة الدواء وتذكيره بقول رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**».

وقد يكون الكرب نتيجة حيرة حول فتوى، وقلق حول موقف يحتاج إلى رأى الدين فيأتى العالم ليزيح الحيرة ويذهب القلق ويمنح الإنسان هدوء العقل والقلب واطمئنان النفس والضمير. فإن الفتوى الصحيحة من أهل الذكر يترتب عليها مصالح العباد وتمنح الناس الأمان النفسى وتوقظ فيهم الأمل الشريف، وصدق الله حيث يقول:

---

(١) سورة البقرة: آية (١٤٨).

(٢) سورة المائدة: آية (٤٨).

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]

وقد يكون الكرب نتيجة انتظار غائب أو تطلع لمستقبل أو توقع لحدث فيأتى المرء لأخيه بالبشارة أو بالرسالة المطمئنة أو يقول له كلمة طيبة تسرى عنه وتشرح صدره. .

وقد يقف الإنسان حائرًا أمام مفترق طرق تتصل بالعمل أو العلم أو السفر أو الزواج أو التجارة.. إلخ ويحتاج من أخيه إلى رأى أمين ونظرة ثاقبة ونصيحة مخلصة تكون تفريجا للكرب وإنقاذًا من الهموم . .

ولأهمية هذا الجانب قال ﷺ: «**الدين النصيحة**» وجعلها عامة شاملة فقال: «**لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

***

التيسير على المعسر:

ونقف مع الفقرة الثانية للحديث الشريف: «**ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة**».

المعسر هو الذى ضاقت به الأرض ولم يعد يجد ما يكفيه لنفسه أو لمن يعول من الأهل والولد، والتيسير على المعسر له أشكال متعددة:

فقد يكون التيسير قرضًا حسنًا، فإن بعض الناس يمكنه أن يكتسب ويستطيع أن يوفر ما يحتاج إليه، لكنه فى لحظة من اللحظات يقف حائرًا يتعفف عن الصدقة ويريد قرضًا حسنًا يقوم بسداده بعد ميسرة..

وقد أعظم الله ثواب القرض الحسن فقال: ﴿ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2]. وقال جل شأنه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[3].

والقرض الحسن هو إعطاء المال بلا ربا ولا مَنّ ولا أذى، على أن يسدده المدين فى الوقت المحدد بينهما..

---

(١) سورة النحل: آية (٤٣).

(٢) سورة الحديد: آية (١٨).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٥).

وحين يأتى موعد السداد ولم يتيسر قضاء الدين لأمر خارج عن إرادة المدين فإن حق الأخوة يقتضى أحد أمرين: إما الانتظار إلى وقت اليسر وإما التصدق على المدين بهذا الدين كلا أو بعضا إيثارًا لثواب الله عز وجل..

وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾[1].

وقد جاء فى صحيح الحديث: «**لقى رجل ربه فقال: ما عملت، قال: ما عملت من الخير إلا أنى كنت رجلاً ذا مال فكنت أطالب به الناس فكنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور فقال الله عز وجل: تجاوزوا عن عبدى**».

وفى رواية: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**».

وإذا كان التيسير على المعسر قرضًا حسنًا ثم إنظارًا لميسرة وتصدقًا عليه بالدين أو إبراء من بعضه فإن المسلم يتقدم بفضول أمواله ليضعها فى أيدى المستحقين على سبيل الصدقة والقربة إلى الله تعالى امتثالاً لهذا التوجيه القرآنى:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[2].

والمسلم يدرك أن المال مال الله استخلف فيه للانتفاع الخاص والعام ولجوانب البر الاجتماعية ولقضاء حوائج الناس.

ستر المسلم:

نقف مع الفقرة الثالثة من الحديث الشريف: «**ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة**».

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٠).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٦١).

ستر المسلم على أخيه له مجموعة معان كلها خير، ويجدر بالإنسان العاقل أن يلتزم بها ويحافظ عليها إيثارًا لثواب الله وفضله..

فالستر قد يكون للزلة، وقد اشترط العلماء لسترها أربعة شروط: أن تكون حقًا لله تعالى وأن تكون قد مضت وأن تكون من ذوى الهيئات الذين لا يعرف عنهم سوء وألا يكون المرء شاهدًا أو مستشارًا..

وبغير هذه الشروط لا يحسن الستر، فإن كانت الزلة من حقوق العباد فلابد من رد الحق لصاحبه، وإن كان صاحب الزلة مقيمًا عليها وجب تغيير المنكر بمراتبه الشرعية، وإن كانت الزلة ممن اعتادها وأفسد بها في الأرض وجب ملاحقة صاحبها أو رفع أمره إلى من بيده السلطة حتى يقيم عليه العقاب المناسب منعًا من انتشار الجريمة وازديادها..

وإن كان المسلم شاهدًا أو مستشارًا وجب أن يقول ما يعلم فالدين النصيحة والمستشار مؤتمن والشاهد لا يكتم الشهادة..

وقد يكون ستر المسلم مرادًا به ستر العورة الحسية بالكساء بأن يقدم له ما يلبس ويحفظ عليه حياءه ويتناسب مع مكانته..

وقد يكون ستر المسلم مرادًا به ستر العورة المعنوية بتيسير النكاح وتخفيف المهور ومساعدة الراغبين في الزواج قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]. فهذا الأمر موجه إلى أولياء الأمور سواء كانوا أرباب أسر أو حكام مجتمع، فرب الأسرة مطالب بأن يزوج ولده إن كان مستطيعًا وأن ييسر المهر لخاطب ابنته فلا يغالى، والحاكم والمسئول عن الأمة مطالب أن يساعد الراغبين في الزواج ببناء المساكن أو تقديم القروض أو بالدعوة إلى الزواج المبكر..

وقد يكون ستر المسلم مرادًا به العورة المالية فيأتى إلى الفقير والمسكين ويدفع إليه ما يحفظ ماء وجهه ويصون كرامته محققًا قول الله تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) سورة النور: آية (٣٢).

يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[1].

***

عون الله لعبده

نقف مع الفقرة الرابعة من الحديث الشريف: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

تكافل الناس وتراحمهم وتعاونهم هو الحل الصحيح لمشاكل المجتمع، فالإنسان لا يعيش وحده ولا يستطيع الوفاء بحاجات نفسه، فالجميع في خدمة الجميع كما قال القائل:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

كل ما هنالك أننا نطالب أن يكون العون الإنساني باسم الله ومن أجل مرضاة الله حتى يعمق ويستمر ويتواصل..

وعندئذ يكون الله في عون الإنسان مددًا وثوابًا وذخرًا في الآخرة، وقد وعد الله - ووعده الحق - أن يمنح عباده المخلصين أمن الدنيا والآخرة وتفريج الكروب جميعها وتيسير الأمور كلها..

وقد ذكر الحديث الشريف لونًا من المجانسة بين الفعل والجزاء، فتنفيس كروب الآخرة مرتبط بتنفيس العبد لكروب أخيه في الدنيا، وتيسير الله أمور الإنسان في الدارين مرتبط بتيسير العبد أمور أخيه في الدنيا، وستر الله للإنسان في الحياتين مرتبط بستر المرء على أخيه في الدنيا..

ثم لننظر في الفعل والجزاء، أليس الجزاء أكبر من الفعل؟! أليس الثواب خيرًا من العمل؟! أليس فضل الله علينا أعظم مما عملت أيدينا؟!..

إن الله تعالى يعاملنا بالجود والإحسان..

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢٧٢ - ٢٧٣).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٦٠).

وما أهون كروب الدنيا بجوار كروب الآخرة، وما أيسر عسر الدنيا بجوار عسر الآخرة، ثم إن الآخرة ملأى بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل ذلك لا يزول أبدًا..

قال تعالى:

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

إن عون الله تعالى فى الدنيا والآخرة يتجلى فى تسديد الخاطر وإلهام الحق ومعرفة الخير والتزام الفضيلة. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

كما يتجلى عون الله لعبده فى بركة الرزق والعمر والعمل.. قال تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴾[3].

ومن تمام عون الله لعبده أن تحيط به الملائكة من كل جانب تيسيرًا وبشرًا، ولاية وعناية. كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾[4].

***

(١) سورة الرعد: آية (٣٥).

(٢) سورة الأنفال: آية (٢٩).

(٣) سورة الطلاق: الآيتان (٢ - ٣).

(٤) سورة فصلت: الآيتان (٣٠ - ٣١).

كفران العشير

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط».**

***

اطلع رسول الله ﷺ من وراء الغيب على ما لم يطلع عليه غيره، واختصه ربه تعالى بما لم يختص به أحدًا سواه..

لقد رأى رسول الله ﷺ النار رؤية عين أو رؤية علم، وكلاهما بأمر الله تعالى فليس فى مقدور البشر أن يعرفوا أو يبصروا شيئًا من تلقاء أنفسهم من وراء الطبيعة..

وأخبر الصادق المصدوق أن أكثر أهل النار هم النساء، والكثرة هنا متعلقة بأوصاف مذمومة وخصال ممقوتة، متى تخلصت منها المرأة أصبحت نقية تقية بارة..

وقد ذكر رسول الله ﷺ خصلتين هما كفران العشير وكفران الإحسان، وعبر الرسول ﷺ عن هذا المعنى بقوله: «يكفرن» حتى يثير التساؤلات، فتعجب الناس أو النساء وقالوا: أيكفرن بالله؟ يعنى هل النساء أكثر الناس كفرًا بالله؟ فرفع الرسول ﷺ هذا الوهم ووضح المراد فقال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان»، فليس مرادًا به الكفر المخرج عن الملة، وإنما هو تعبير مجازى ينفر من المعصية ويباعد عن الذنب ويصد عن المآثم ويدفع إلى الطاعة والاستقامة..

وكفران العشير هو التهاون فى حق الزوج، فالعشير هو الزوج، وحق الزوج كبير ويحتاج إلى مجاهدة الطبع الفاسد..

وإن المرأة التى تتهاون فى حق زوجها لا شك أنها تتهاون فى حق الله عز وجل، فالحقوق سواء، وتضييع حق منها مدعاة لتضييع باقى الحقوق..

وكفران الإحسان هو نكرانه وجحده والتقليل من شأنه، ولا ينبغى أن تنسى المرأة المعروف والبر والإحسان عند أول إساءة، ويتعالى صوتها بأنها لم تر خيرًا فى حياتها أبدًا.. فهذه مبالغة قبيحة لا تليق بامرأة مسلمة..

حقًا إن هناك نساء فضليات توزن إحداهن بأمة، لكن الحكم دائمًا يكون على الظواهر العامة والصفات الغالبة والطبائع السارية فى المجموع..

والعدل الإلهى يقوم على الموازين القسط.. قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾[1].

***

(١) سورة النساء: آية (١٢٤).

حب الخير للناس

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

***

إن الإيمان قلب طاهر ونفس مطمئنة، وإيثار ينتقل بالإنسان من دائرة الخصوصية إلى دائرة العموم ليعيش مع بنى جنسه محبًا متعاونًا حريصًا على خير المجتمع..

والرسول ﷺ فى هذا الحديث الشريف يدعو الناس إلى تحقيق كمال الإيمان وذروة سنامه بأن يحب الإنسان لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه..

وما دام الإنسان يحب لنفسه خير الدين والدنيا، وشرف الأولى والآخرة، فيجب عليه أن يفرح لأن يكون الناس مثله فضلاً وكرمًا، عفة وعفافًا، دينًا وخلقًا..

والمقصود هو حث الناس على التواضع والبعد عن الأثرة، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش وسائر الخصال المذمومة التى تقدح فى إنسانية المرء وتنال من كرامته.. قال تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

ويلزم من حب الإنسان لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه من الخير - أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر..

والحديث الشريف ليس وقفًا على أن نحب للآخرين المآكل الشهية والمشارب اللذيذة والملابس الأنيقة بل كما يحب الإنسان العاقل لنفسه أن يكون مستقيمًا على طاعة الله عز وجل ملتزمًا بشرعه وهديه - يحب لأخيه أن يستقيم كذلك وأن يحافظ على علاقته الطاهرة بالله وولائه لرسوله..

---

(١) سورة القصص: آية (٨٣).

ومن هنا تأتى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فمدخل هذه القضية الأساسى هو الحب لله وفى الله، بمعنى أن الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر إنما يقوم بهذا الواجب من منطلق الأخوة الحانية ومن منطلق الحرص على هذه الأخوة وتأكيدها، فهو يتمنى للناس جميعًا الخير ويشاركهم فيه ويدعوهم إليه..

وفى هذا الإطار نفهم قول الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

***

(١) سورة هود: آية (٨٨).

خير الإسلام

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: «**أن رجلاً سأل النبى ﷺ أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

سأل الناس رسول الله ﷺ عن أمور حياتهم العامة والخاصة مسترشدين حرصًا منهم على ما يرضى الله ورسوله، وكان الرسول الكريم يجيب كلا منهم حسب مقتضى الحال من السائل أو السامع ولذا قد تتعدد الإجابة عن السؤال الواحد..

وفى الحديث الذى معنا سأل الرجل: أى الإسلام خير؟ بمعنى أى خصال الدين أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا وأعم نفعا، فأرشد الرسول ﷺ السائل إلى خصلتين لهما أهمية اجتماعية بالغة هما إطعام الطعام وإفشاء السلام، فتقديم الطعام للفقراء والمساكين وذوى الحاجات من أمور الدين التى يجب على كل قادر أن يفعلها، وقد يشمل إطعام الطعام إعداد الموائد لذوى الأرحام والأصدقاء حبًا لله وفى الله ومن غير إسراف ولا كبرياء..

وإطعام الطعام يكون بإعداد الطعام ذاته ودعوة الناس إليه أو إرساله إليهم، ويكون أيضًا بتقديم المال للفقير والمحتاج كى يشترى طعامه وقوته..

وقد امتدح الله تعالى الأبرار ووعدهم الجزاء الأوفى، وعدد من مناقبهم إطعام الطعام فقال جل شأنه:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ ﴾[1].

---

(١) سورة الإنسان: الآيات (٥ - ١١).

والخصلة الثانية التى حث عليها رسول الله ﷺ هى قوله: «**وتقرأ السلام علـى مـن عرفـت ومن لم تعرف**» بمعنى إشاعة السلام وإلقاء التحية وأن يعيش الناس فى أمن عام..

وقضية إلقاء السلام على من تعرف ومن لا تعـرف تعنـى ألا يخـص الإنسـان بسـلامه أحـدًا تكبرًا أو تصنعًا بل يلقى السلام تعظيمًا لشعار الإسلام ومراعاة لأخوة المسلم..

وإفشاء السلام يؤدى إلى غرس المحبة وتقوية الإيمان والفوز بالرضوان، وفى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قال: «**والذى نفسـى بيـده لا تدخلـوا الجنـة حتـى تؤمنـوا، ولا تؤمنـوا حتـى تحابوا، أوَلاَ أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»..

***

المسلم الكامل

أخرج البخارى بسنده - فى الصحيح - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: عن النبى ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

***

يضعنا هذا الحديث الشريف أمام قضية ذات أهمية كبرى تتصل بحياة الناس الاجتماعية، وتغرس فينا حقيقة الإيمان المقترن بصالح الأعمال، وتدفعنا إلى إعطاء كل ذى حق حقه خالقًا كان أو مخلوقًا..

فالمسلم الكامل فى إسلامه هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، وذكر لفظ المسلمين خرج مخرج الغالب، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا، ويلحق بالمسلمين أهل الذمة وكل من ألقى إلينا السلم ولم يظاهر علينا عدوًا.. قال تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

وذكر اللسان واليد فى الحديث الشريف إشارة إلى سائر الأقوال والأفعال، فالمسلم حريص على كف الأذى، وحريص على فعل الخير، وحريص على كل ما يحببه إلى الله وإلى الناس..

والمهاجر الذى يريد أن يحظى بثواب الهجرة الآن هو من يهجر المعاصى والمنكرات، ويبتعد عن الفواحش وقول الزور، ويحاذر من كل ما نهى الله عنه..

فإن الهجرة قد مضت لأصحابها ولا هجرة بعد فتح مكة..

---

(١) سورة الممتحنة: الآيتان (٨ - ٩).

لقد اشتملت هاتان الجملتان فى الحديث الشريف على جوامع من معانى الحكم والأحكام وقد جاء فى حديث آخر صحيح: «**قالوا يا رسول الله أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده**»..

إن الناس فى حاجة ماسة إلى أن يعيشوا إخوة متحابين متعاونين على البر والتقوى بلا ضغينة أو حقد أو حسد، ولنتذكر جميعًا أننا نلتقى عند أب واحد وأم واحدة.. قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1]

***

(١) سورة النساء: آية (١).

قانون العمل

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن المعرور قال: «**لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إنى سابيت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لى النبىﷺ: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

***

لقى المعرور بن سويد أبا ذر الغفارى فى مكان يسمى الربذة، بينه وبين المدينة ثلاث مراحل أى ما يقرب من مائة وعشرين كيلو مترًا.

فإذا بهذا الصحابى الجليل أبى ذر يلبس نفس ما يلبسه غلامه بلا تفرقة، والحلة إزار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين..

فتعجب الرجل من صنع أبى ذر، كيف يسوى بينه وبين عبده، فسأله عن سر ذلك فكشف له أبو ذر عن قصة كان لها أثرها الباقى فى حياته فقال: إنى سابيت رجلاً فعيرته بأمه..

والسباب هو الفحش من القول، وأصله مأخوذ من السبة وهى حلقة الدبر، سمى الفاحش من القول بالفاحش من الجسد، وقيل من السب وهو القطع فالمسبوب مقطوع..

والتعيير نسبته إلى العار. وفى رواية: قلت له يابن السوداء..

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد نكيره على أبى ذر وقال: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية..

أى تلك خصلة من خصال الجاهلية ما زالت باقية فيك لم يهذبها الإسلام بعد، وقد قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات: آية: (١٣).

وقد بين الرسول قانون العمل الذى يحكم علاقة صاحب العمل بالعمال فقال: «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

والخول هم الخدم سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أى يصلحونها..

وحيث إن الخدم تحت أيدينا لتيسير العمل فليس يعنى ذلك انتقاص حقهم فى الإنسانية فهم إخوة له فى الدين أو الإنسانية؛ وحسن الخلق مع هؤلاء يقتضى أن يتوفر لهم الطعام والملبس المناسب وأن يكون العمل فى إطار المستطاع وإن كان العمل يحتاج إلى مساعدة أعينوا على ذلك..

ولكن أبا ذر رضى الله عنه استمع إلى القول فاتبع أحسنه، فعامل غلامه بما يعامل به نفسه مأكلاً وملبسًا..

وصدق الله حيث قال:

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

***

(١) سورة الحجرات: آية: (١٣).

التهديد بالسلاح

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشىء**».

***

وجاء فى بعض روايات الحديث: «**أن رجلاً كان يتصدق بالنبل فى المسجد فأمره الرسول ﷺ أن يمسك بنصالها**».

والنَبْل هى السهام العربية، والنصل هى حديدة السهم أو السيف أو السكين أو الرمح..

والمعنى العام لهذا الحديث الشريف أن الرسول ﷺ يعلم المسلمين أدب اللقاء فى أماكن التجمع سواء كانت مساجد أو أسواقًا أو غيرها، بحيث يراعى المسلم الحرص على سلامة المجتمع وأمنه، فلا يُروع مسلم ولا يتعرض له بما قد يؤذيه..

وحمل السلاح فى أماكن التجمعات يحتاج إلى يقظة تامة حتى لا يصاب أحد بأذى، والأدب الإسلامى يحتم أن يقبض حاملها على موضع الأذى منها ويواريه بما يمنع الإصابة الطائشة..

وقد أتت أحاديث كثيرة تنهى عن ترويع المسلم مطلقًا حتى ولو كان هزلاً، وفى صحيح الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**».

ومعنى قوله ﷺ: «**وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» المبالغة فى إيضاح عموم النهى فى كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هزلاً أو لا.

وقد علل ذلك الرسول ﷺ فى حديث آخر صحيح فقال: «**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار**».

أى أن الطلقة الطائشة أو الرمية غير المقصودة قد تصيب مسلمًا فيقع قتيلاً وهنا تكون الكارثة.

وكثيرًا ما يحمل الناس السلاح فى الأفراح أو المناسبات العامة ولا يتأدبون بأدب الإسلام ويطلقون الأعيرة النارية، وقد تصادف فينقلب الموقف حزنًا بعد فرح ومأتمًا بعد عرس..

إن الإسلام يحرص على تأكيد شعور الأخوة العامة الذى يجمع المسلمين ويجعلهم فى موضع اليقظة لدفع الأذى وإزالة الضرر عن الآخرين..

وذات يوم قدم رجل إلى رسول الله وقال علمنى شيئًا أنتفع به قال: «**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**»..

***

السلام فى العلاقات الاجتماعية

روى مسلم وابن حبان فى صحيحيهما من حديث أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**».

***

حرص الإسلام على المودة بين عباد الله:

مجتمع الإسلام مجتمع قائم على المحبة لله والمحبة فى الله، وللمسلم على أخيه حقوق كثيرة، منها نصرته ظالما أو مظلوما بمعنى رده عن الظلم أو رد الظلم عنه، ومنها صلته بالمعروف والإحسان، وقد قال ﷺ: «**والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**».

والشعار العام لمجتمع المسلمين قول رسول الله ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانا**»، وقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

لكن طبيعة الإنسان أنه قد يغضب أو قد يسىء للآخرين أو يساء إليه، وأى الرجال المهذب؟!..

هنا يتدخل الإسلام بحكمة وروية لمعالجة هذا الجانب، فعلى المسلم أن يأخذ بأسباب الصلة ويقدم حسن الظن، ويلتمس الأعذار لإخوانه، وعندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يطلب النصيحة قال له: لا تغضب.

والحديث الذى معنا لا يبيح للمسلم أكثر من ثلاث ليال، وعليه بعد ذلك أن يسارع إلى المصالحة والصفح..

الحكمة فى الثلاث ليال:

هناك ملحظ نفسى مهم فى التعبير النبوى: «فوق ثلاث ليال». لأن المعالجة تستغرق وقتًا، وقد تكون الصدمة من فعل الآخرين شديدة، فكان التسامح فى ثلاث ليال لتهدأ النفس وتسكن وتنسى مرارة الموقف..

والعدد «ثلاثة» معتبر فى الشرع كثيرًا، فشرع غسل أعضاء الوضوء ثلاثا.

والطلاق مسموح به إلى ثلاث، وعندما كان يتكلم رسول الله ﷺ يكرر كلماته ثلاثًا..

ثم إن هناك ملحظًا آخر وهو أنه ورد الحديث عن الصادق المصدوق بقوله: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**».

فهناك فرصة ثلاث ليال ما بين الاثنين إلى الخميس لكي يتخلى الإنسان عن هجره حتى يكون فى محل العفو من الله عز وجل..

مفهوم السلام:

قد يراد بالبدء بالسلام إلقاء السلام الذى هو تحية المسلم عند اللقاء..

ويمكن أن يراد بالسلام الصفح والعفو وليس شرطًا إلقاء السلام، فمتى صفح الإنسان وعفا عن أخيه، والتقى به على هذا القلب الطاهر فقد تحقق المراد..

ولو أن أحدهما مسافر أو فى مكان ناء لا يمكن اللقاء معه فيستعاض عن ذلك بالمراسلة والمكاتبة، فهى لون من التعبير عن السلام الدال على الصفاء.. وهكذا فالمراد هو كل ما يظهر الصفح والعفو والمغفرة..

تعبيرات ذات دلالة:

ورد فى هذا الحديث الشريف تعبيرات نبوية ذات دلالة خاصة منها:

- «**لا يحل لمسلم**».

فالتعبير بالمسلم لأنه الذى يراقب الله تعالى ويلتزم بحدوده ويحرص على الولاء لأدب الله ورسوله.

- «**أن يهجر أخاه**».

فالتعبير بالأخ دلالة على عمق الصلة التى تجمع المسلمين فهم جميعًا إخوة، فلنعف حتى يعفو الله عنا، ولنغفر حتى يغفر لنا..

ولعل فى قصة أبى بكر الصديق مع قريبه مسطح موقف عبرة لنا، لقد كان الصديق يجرى نفقته على مسطح ويتكفل به ومع ذلك خاض مسطح مع الخائضين فى عرض أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق فلما نزلت براءة السيدة عائشة قرآنًا يتلى أقسم أبو بكر أن يقطع مساعدته عن مسطح.. فجاء القرآن المجيد بقيمة اجتماعية عليا فقال:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وعندئذ قال الصديق ﷺ: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله به من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا..

***

(١) سورة النور: آية: (٢٢).

تحمل الأذى من ذوى القربى

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة ﷺ «**أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم، ويسيئون إلىّ، وأحلُم عنهم ويجهلون علىّ؟ فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك**».

***

الهدف الأسمى مرضاة الله :

المسلم دائمًا نساء للأحقاد، صفاح عن الناس يقدم المعروف ابتغاء هدف أسمى هو مرضاة الله تعالى.

فهو يوم يصل رحمه أو يتصدق أو يحسن لا ينتظر محمدة أحد من الناس ويحقق معنى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ (١)

وحسن الخلق فى الإسلام لا يعنى فقط مجرد كف الأذى عن الناس وإنما حسن الخلق تحمل الأذى منهم. .

وإذا كان هذا المعنى الشائق الجميل يحققه المسلم فى تعامله مع الناس عامة فهو مع ذوى الأرحام أحق وأولى وألزم . .

قصة الحديث:

قدم رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو قرابته وذوى رحماه، فهو يزورهم ولا يزورونه، وهو يقدم المعروف والبر وما ينفعهم وهم يقابلون إحسانه بالإساءة إليه، وهو يصفح عن إساءتهم ويعفو عن ظلمهم ولا يزيدهم ذلك إلا جهلاً عليه واعتداء. .

فالرجل يشكو ويطلب النصيحة من رسول الله.

---

(١) سورة الإنسان : آية (٩).

هنا وجهه الرسول الكريم إلى آفاق عليا فى التعامل الإنسانى الراشد فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك**».

والمل هو الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، وتظل عناية الله معه، وتظل نصرة الله له، ويظل تأييد الله لهذا الإنسان الواصل طالما التزم الإحسان والصلة والمعروف.

مجموعة آداب وأحكام:

ليس الواصل بالمكافئ:

هذه حكمة نبوية، فكون الإنسان يزور قريبه لأنه يزوره، فتلك مسألة عادية ولا ترقى بالمسلم إلى مستوى الخلق الرفيع، والمعدن الأصيل يظهر عند ملاقاة النار، فإذا أدبرت الرحم وقاطعت ثم سعى المسلم إليها وتقرب منها تحقق المعنى الرفيع الذى يرشدنا إليه الرسول ﷺ بقوله: «**ليس الواصل بالمكافئ**».

صنائع المعروف تقى مصارع السوء:

تلك عبرة الحياة، فالإنسان الذى يسعى فى الخير ويعطى المحتاج ويقضى مصالح الناس يمنحه الله الرضا والطمأنينة وتكتنفه عناية الله ويحفظه من كل سوء. .

ولعلنا نذكر مقالة السيدة خديجة رضى الله عنها يوم رجع إليها سيدنا رسول الله ﷺ يرجف فؤاده يوم لقاء الوحى الأول. .

لقد قالت كلمة حكيمة تعبر عن خبرة الحياة :

«**أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا.**

والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب لحق».

***

صلة الرحم

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما - واللفظ للبخارى - من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه**».

***

معنى الرحم :

للعلماء آراء فى حد الرحم التى تجب صلتها، فقيل هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما. .

وعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال فى الرحم.

واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال. .

وقيل هو عام فى كل رحم من ذوى الأرحام فى الميراث يستوى المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ حين سئل من أحق الناس بحسن الصحبة قال: «**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك**».

فحق الرحم يبدأ وجوبًا مؤكدًا بالأبوين وقد وصى بهما المولى سبحانه وصية قرنها بالأمر بعبادته فقال:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1].

ثم ينتقل الحق إلى الأبناء والزوجة فإن من أكبر الكبائر أن يضيع الرجل من يعول، ثم ينتقل الحق إلى الإخوة والأخوات وأبنائهما ثم إلى الأعمام وأبنائهم ثم إلى الأخوال وأبنائهم وهكذا. .

---

(١) سورة الإسراء : آية (٢٣).

فضل صلة الرحم :

الإسلام حريص على التراحم والتعاون والنصرة قال جل شأنه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[1]. وقال ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**».

وإذا كان شأن الإنسان أنه لا يعيش وحده بل يحتاج إلى بنى جنسه يعاونهم ويعاونونه ويخدمهم ويخدمونه فإن ذوى القربى والرحم أحق بالصلة وأولى بالتراحم ..

ومن هنا حرص الإسلام على توزيع الميراث بين ذوى القربى والرحم بترتيب خاص، وجعله فريضة محكمة فقال تعالى:

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وبين الرسول ﷺ أن الصدقة على ذوى الرحم لها أجران :

أجر الصدقة وأجر الصلة. .

ومن المعروف فى فقه الشريعة أن الجار المسلم القريب له ثلاثة حقوق، حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم. .

بل إن النصيحة إلى الخير والدعوة إلى البر تجب أولاً لذوى القربى، وقد بدأ رسول الله ﷺ دعوته إلى الإسلام فوجهها إلى عشيرته وقومه تنفيذًا لأمر الله عز وجل:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[3].

وجاءت أحاديث كثيرة فى فضل الصلة وتحريم القطيعة منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله**»، وفى الحديث الصحيح: «**لا يدخل الجنة قاطع**».

معنى «يبسط له فى رزقه»:

بسطة الرزق قد تكون كثرة وقد تكون بركة، واقتضت حكمة الله تعالى أن يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من أحب. .

---

(١) سورة المائدة : آية (٢).

(٢) سورة النحل : آية (٦١).

(٣) سورة الشعراء : آية (٢١٤).

وعطاء الله الدنيا لبعض الناس كثرة ليس دليلاً على تكريم من الله أو محبة منه جل شأنه، وإنما مدار التكريم والمحبة على بركة الرزق ونمائه وحسن الانتفاع به.

فهذا وعد الله على لسان رسوله أن الواصل لرحمه يبسط له الرزق بركة فينتفع بماله انتفاعا صحيحًا ويستثمر أمواله استثمارًا حلالاً طيبًا. . فالحلال الطيب خير من الكثير الحرام..

معنى «ينسأ له فى أثره»:

ينسأ أى يؤخر، والأثر أى الأجل، ومن المعلوم أن الآجال والأرزاق مقدرة أزلاً لا تزيد ولا تنقص: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1]، والمراد بتأخير الأجل بركة العمر بمعنى التوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه، وصيانته عن الضياع فى غير البر والخير والمعروف. .

وكذلك إبقاء الذكر الحسن بعد الوفاة فإن الذكرى حياة ثانية، وقد دعا إبراهيم الخليل فقال:

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2].

تنبيه:

يؤخذ من قوله: «من سره» أن حب الرزق وحب الحياة ليس ممقوتا فى ذاته فحب المال والحياة إذا دفع المرء إلى الشهوات والآثام فهو مهلكة وإن كان باسم الله ووفق شريعة الله فنعم المال الصالح للرجل الصالح.

***

(١) سورة النحل : آية (٦١).

(٢) سورة الشعراء : آية (٨٤).

خصال الخير

روى ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى ذر ﷺ قال: **«أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير: أوصانى بألا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أنظر إلى من هو دونى، وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم، وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت، وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرًا، وأوصانى أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»**.

***

هذا الحديث يجمع من الخير خصالاً ستًا تمنح الإنسان السعادة الكاملة، وتحقق له الاستقرار النفسى والاجتماعى، وتجعله عضوًا نافعًا فى مجتمعه. .

الخصلة الأولى:

«أوصانى بألا أنظر إلى من هو فوقى وأن أنظر إلى من هو دونى».

هذه وصية جامعة، فالرزق فى هذه الحياة يساق حسب الحكمة الإلهية، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

ونعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وليست النعم وقفًا على المال فقط، فهناك نعمة الصحة، ونعمة الأولاد، ونعمة الزوجة الصالحة، ونعمة الجار الصالح. . وهكذا.

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[2].

والابتلاء سنة الحياة، فقد يبتلى الله الإنسان بالغنى كما يبتليه بالفقر، ويبتليه بالصحة كما يبتليه بالمرض، ويبتليه بالأولاد كما يبتليه بالعقم ليظل المسلم دائما بين الشكر والصبر.. قال تعالى:

---

(١) سورة الزخرف: آية (٣١).

(٢) سورة النحل: آية (١٨).

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[1].

والإنسان العاقل يرضى بما قسم الله له ولا ينظر إلى من هو فوقه مالاً أو أكثر منه ولدًا وهكذا. فهذا النظر يورث الإنسان احتقار نعم الله عليه، ويجعله فى هلع وكرب، ويصيبه بالقلق، فيصبح مهمومًا مغمومًا محزونًا. .

لكن إذا نظر إلى من هو دونه فسيعلم أن الله قد حباه بفضل وأمده بنعم لا يستطيع الوفاء بشكرها. .

الخصلة الثانية:

«وأوصانى بحب الساكين والدنو منهم».

هذه وصية خير وبر وصلة، فكبراء الناس أكثرهم طغاة، والمسلم لا يتعالى على خلق الله، بل يتواضع ويقرب من عامة الناس. .

وتعبير «الساكين» مقصود به عامة الناس فضلاً عما قد يوحى به من ضرورة إنفاق المال وإطعام الطعام والسعى فى حوائج الناس. .

والإنسان مهما أوتى فهو ضعيف فى كل شىء :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[3].

ولا ننسى أن دوام الحال من المحال، فغنى اليوم قد يكون فقير الأمس، وفقير اليوم قد يكون غنى الغد.. كما قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

فالمسلم لا يتكبر ولا يتصاغر ويعيش بعزة الله التى كتبها لعباده المؤمنين:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٣٥).

(٢) سورة فاطر : آية (١٥).

(٣) سورة الروم : آية (٥٤).

(٤) سورة آل عمران : آية (١٤٠).

(٥) سورة المنافقون : آية (٨).

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1].

الخصلة الثالثة:

«وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت».

هذا خلق عظيم فليس الواصل بالمكافئ، وإنما حقيقة صلة الرحم السعى إليها ومعاهدتها وقضاء مصالحها وإن أدبرت، فالمسلم يعطى من حرمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه. .

هذه معالم الإنسانية الراشدة، قال تعالى فى وصف عباده المتقين:

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[2].

وإذا كنا مطالبين شرعا بالعفو والصفح العام ففى حق الأقربين أولى. .

وهناك تحذير شديد فى قطع الرحم، قال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[4].

وقال ﷺ : **«لا يدخل الجنة قاطع».**

الخصلة الرابعة:

«وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم».

المسلم حريص على دعوة الحق، ويتحمل أمانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويوجه النصيحة خالصة لوجه الله، لا يخشى أحدا إلا الله، فالدين النصيحة، وليس هناك مداهنة فى الحق، فالحق أحق أن يتبع، كل ما هناك أن كلمة الحق تحتاج إلى أدب وحكمة كما قال ربنا جل شأنه:

---

(١) سورة الفتح : آية (٢٩).

(٢) سورة آل عمران : آية (١٣٤).

(٣) سورة محمد : آية (٢٢).

(٤) سورة النساء : آية (١).

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

الخصلة الخامسة:

«وأوصانى أن أ قول الحق وإن كان مرًا».

فإذا كان المسلم يدعو الناس إلى الحق ولا يخاف فى الله لومة لائم فـأحرى بـه أن يلـتزم هـو بالحق فى نفسه ويتحمل تبعاته ولو كان يشق ذلك عليه..

فكلمة الحق قد تتعلق بالشخص فى ذاته وقد تتعلق بالآخرين، فالمسلم يلتزم بالحق فى نفسه ويحملها على اتباعه — كما قال تعالى:

﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2].

وقال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».**

كذلك فإن المسلم يواجه الناس بكلمة الحق ويدعو إلى الخير لا يخشى لوم اللائمين.

الخصلة السادسة:

«وأوصانى أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة».

هذه الوصية جماع الخيرات كلها، فهى تربية للمسلم عقديًا، وربط لـه بآفـاق المـلأ الأعلـى، واستشعار وخضوع لعظمة الله وكبريائه، وركون وتوكل على الحى الذى لا يموت.

فالإنسان لا حول له ولا قوة وإنما قوته مستمدة من قوة الله، وعزته من عـزة الله، فـلا ملجـأ ولا منجى من الله إلا إليه.

***

(١) سورة النحل : آية (١٢٥).

(٢) سورة النساء : آية (١٣٥).

قاطع الرحم

روى أحمد فى المسند، والبخارى فى الأدب المفرد - واللفظ له بإسناد رجاله ثقات، من حديث أبى أيوب، سليمان مولى عثمان بن عفان قال: جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة فقال: احرّج على كل قاطع رحم لَمَا قام من عندنا، فلم يقم أحد، حتى قالها ثلاثا، فأتى فتى عمة له قد صرمها منذ سنتين، فدخل عليها فقالت له: يا ابن أخى ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا قالت: ارجع إليه فسله لم قال ذاك؟ قال سمعت النبى ﷺ يقول: «**إن أعمال بنى آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم**».

فلسفة الحديث:

هذا الخبر من وراء الغيب ينبئنا به رسول الله الصادق المصدوق، فأعمال بنى آدم التى يعملها الإنسان وتكتبها الملائكة وتسجل فى كتاب دقيق - تعرض على المولى سبحانه وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة.

فالأعمال الصالحة يجازى عليها المرء بالإحسان.

والأعمال الأخرى يجازى عليها المرء بالعدل.

لكن الأعمال الصالحة فى غيبة الخلق القويم مع ذوى الأرحام مردودة على صاحبها، فمن ضيع حق رحمه فهو لحقوق الناس أضيع، ومن ظلم أباه أو أخاه أو عمه وخاله فهو للناس أظلم..

فقطيعة الرحم دليل على سوء الخلق، مثل هذا الشخص القاطع لا يعمل عملاً يبتغى به وجه الله وإنما سيكون منافقًا يرائى ويجامل الناس بقدر ما يكسب منهم.

لماذا ليلة الجمعة؟

ليلة الجمعة من الليالى الطيبة المباركة، إذ فى صبحها يوم الجمعة وهو خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه فريضة محكمة هى فريضة صلاة الجمعة التى أكدها القرآن المجيد فى قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ ﴾[1].

---

(١) سورة الجمعة: آية: (٩).

وهناك أحاديث أخرى تجعل العرض للأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس، ففي صحيح مسلم: «**تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله شيئا إلا أمرًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يصطلحا**».

قصة الحديث:

تدلنا هذه الرواية للحديث على سرعة الاستجابة لنداء رسول الله ﷺ وحرص السلف الصالح على الخلق الكريم..

فعندما جلس أبو هريرة ﷺ هذا المجلس قدم النصيحة لمن حوله بأن يخرج من مجلسه كل قاطع رحم لأنه محروم من رحمة الله عز وجل..

فأدرك الناس عظم هذه الجريمة فسارع هذا الفتى ليطهر سلوكه ويصل رحمه ويبادر إلى عمل الخير فذهب مسرعًا إلى عمة له كان قد قاطعها منذ عامين فدخل عليها وصفا قلبه لها..

فلما شعرت هذه العمة بتغير سلوك ابن أخيها نحوها تساءلت عن السبب فأخبرها بما فعل أبو هريرة ﷺ في مجلسه، فأرادت أن تستفسر عن سر صنيع أبي هريرة وهل هو من تلقاء نفسه أو وراءه خبر مروى عن الصادق المصدوق.

فذهب الفتى وتحمل رواية حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «**إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم**».

فائدة:

هذا الحديث يدفع المسلم إلى بابين كبيرين من أبواب الخير:

- حسن الخلق وصلة الرحم.
- صدق التوبة وسرعة الندم.

***

عيادة المريض

روى مسلم وابن حبان فى صحيحيهما من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع**».

***

فضل عيادة المريض:

شأن المسلم أن يشارك أخاه المسلم سراءه وضراءه ليحقق معنى الأخوة، وليؤكد الشعور الواحد الذى يعيش به مجتمع المسلمين، كما قال ﷺ: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وعيادة المريض لها فضل كبير، فهذا الحديث الذى معنا يؤكد أن العائد يظل فى خرفة الجنة حتى تنتهى مدة الزيارة.

والخرفة فسرها الرسول الكريم فى حديث آخر بقوله: «جناها» أى ثمارها.

فى رواية «مخرفة الجنة» أى الطريق بين ثمرها بحيث يتيسر للمسلم أن ينال من أى ثمار الجنة شاء..

والمراد رحمة الله وبركاته التى تتنزل على عائد المريض خلال الزيارة.

وفى حديث رواه الترمذى: «**من عاد مريضًا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**».

حكم عيادة المريض ولمن تكون:

الأصل فى عيادة المريض أنها مندوبة، وقد تصل إلى الوجوب فى حق البعض حسب حال المريض واحتياجه لمن يزوره وأنسه به..

ويلحق بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، فإذا كان مجرد العيادة لها هذه المنزلة فى الدين فكيف بمن يقوم على شئونه ويتولى طعامه وشرابه إن له منزلة وأجرًا عظيمًا..

وتجوز عيادة النساء للرجال بشرط أمن الفتنة وستر العورة، وقد عنون البخارى فى صحيحه فقال: «**باب عيادة النساء الرجال، وعادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار**».

وساق حديث عائشة رضى الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما قالت: فدخلت عليهما، قلت يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟.

كما تجوز عيادة الذمى، وفى الصحيح أن غلامًا يهوديًا كان يخدم النبى ﷺ فمرض فأتاه النبى ﷺ يعوده، فقال أسلم فأسلم.

وكذلك لما حضرت الوفاة أبا طالب جاءه النبى ﷺ.

أدب عيادة المريض:

تجوز العيادة ليلاً ونهارًا ما لم يشق على المريض، ومن الأدب ألا يطيل عنده الجلوس لأن للمريض أحوالاً قد يؤلمه أن يراها الآخرون.

ومن السنة التنفيس على المريض بمعنى بث الأمل فيه، وتهوين مرضه ورفع معنوياته، وقد أخرج ابن ماجة والترمذى من حديث أبى سعيد رفعه: «**إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئًا وهو يطيب نفس المريض**».

ومن السنة أيضًا الدعاء للمريض، وهناك أحاديث كثيرة فى رقية المريض أثناء عيادته، ففى البخارى عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أتى به إليه قال: «**أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**».

وفى حديث رواه أبو داود والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**من عاد مريضًا لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض**».

وقد وردت آثار تفيد أن يطلب العائد من المريض الدعاء فإن دعوة المريض مستجابة، والله أعلم..

***

الصبر على المصائب

روى مسلم فى صحيحه من حديث الأسود بن يزيد أنه قال: دخل شباب من قريش على عائشة وهى بمنى وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: خر فلان على طُنُب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت: لا تضحكوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**».

***

قصة الحديث:

نحن هنا أمام موقف تعليمى رائد، تتحمله أم المؤمنين عائشة، وتواجه به شبابًا غضا، تقدم لهم النصح وتبين لهم الحقيقة..

إن الوقت كان وقت حج وهم بمنى فى أيام التشريق، فدخل شباب من قريش على أم المؤمنين عائشة وكانوا يضحكون فاستفسرت السيدة عائشة عن سبب الضحك، فقالوا خر فلان على طنب فسطاط كادت عنقه أو عينه أن تذهب..

أى أن واحدًا منهم عثرت قدمه فوقع على الحبل الذى يشد به الفسطاط وهو الخباء ونحوه، فسقط حتى كادت عنقه أو عينه أن تذهب..

فنهتهم السيدة عائشة عن الضحك لأن فيه شماتة بالمسلم وكسرًا لقلبه..

ثم ساقت حديثًا سمعته من المصطفى الكريم: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**».

أى أن كل ما يؤلم المسلم فى بدنه له عليه أجر، ويعد سببًا لمغفرة الذنوب ورفع الدرجات.

وقد جاء حديث صحيح يوضح هذا المعنى ويؤكده وهو قوله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حَزَن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**».

النصب: التعب، الوصب: المرض، والهم والغم والحزن من أمراض الباطن فالهم مما يتوقع، والحزن مما حصل، والغم يعم ذلك..

هل الجزاء على مجرد الإصابة أم على الصبر:

قال فى الفتح: ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى أن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب، والمصائب ليست منها بل الأجر على الصبر والرضا.

وتُعقب بأن الأحاديث الصحيحة صريحة فى ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقدر زائد يمكن أن يثاب عليه زيادة على ثواب المصيبة.

قال القرافى: «**المصائب كفارات جزما سواء اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير وإلا قل**».

فلسفة الابتلاء:

جاء فى صحيح مسلم: لما نزلت: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[1]. بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال النبى ﷺ: «**قاربوا وسددوا، ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة يُنكبها والشوكة يشاكها**».

فإن الإنسان خطاء. وخير الخطائين التوابون، وقد جعل الله تعالى الأعمال الصالحة وما يصيب الإنسان من بلاء وشدة كفارات للذنوب حتى ولو لم يكن للإنسان ذنوب فهى ترفع الدرجات.

ولهذا ورد فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ».

وفى حديث آخر: «إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم».

وصحح الترمذى وغيره عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال: «**قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه**».

بين الفرد والمجتمع:

ما يجرى على الأفراد يجرى على المجتمعات، فالله تعالى قد يبتلى المجتمعات بالشدة والسنين والقحط تنبيهًا لأخطاء عامة أو دفعًا لهم إلى الصراط المستقيم. قال الله تعالى:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2]

---

(١) سورة النساء: آية (١٢٣).

(٢) سورة الروم: آية (٤١).

وعندما انهزم المسلمون فى غزوة أحد لمخالفتهم أمر رسول الله نزل القرآن المجيد بهذه الحكمة:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1]

***

(١) سورة آل عمران: آية (١٥٢).

النهى عن الضجر

روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: **«مالك يا أم السائب أويا أم المسيب تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: لا تسبى الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»**.

***

نقف وقفات سريعة مع فقرات هذا الحديث الشريف:

١ - «دخل رسول الله على أم السائب أو أم المسيب فقال: مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟.

وهنا نأخذ حكمًا بجواز عيادة الرجال النساء وبالعكس، طالما كان ذلك فى أدب الإسلام ووقار الزى والسلوك..

وحدثت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما قالت فدخلت عليهما قلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟.

٢ - عندما استفسر الرسول الكريم من هذه المرأة الأنصارية عن سبب علتها قالت «الحمى».

وقد جاء فى صحيح الحديث: «**إن الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء**».

والمعنى أن ارتفاع حرارة المحموم يشبه حر نار جهنم تنبيهًا للنفوس على شدة حر النار فى الآخرة، فإن نار الدنيا تذكر بنار الآخرة ولهذا قال الله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]

---

(١) سورة الواقعة: الآيات (٧١ - ٧٣).

ومن الأدب أن نقول فى اليوم الحار: ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرنا من حر نار جهنم.

وإطفاء الحمى بالماء، قيل هو ماء زمزم، وقيل مطلق ماء، وذلك بأن يتوضأ أو يضع بعض الكمادات الباردة على أطرافه لتخفيض الحرارة.

٣ - عندما ذكرت المرأة الأنصارية الحمى قالت: لا بارك الله فيها، قال ﷺ: «لا تسبى الحمى».

وهنا أدب يجدر بالمسلم أن يأخذ نفسه به، وهو ألا يدعو على شىء مطلقًا ولا يسب شيئًا مطلقًا حتى الحيوان.. وفى الصحيح أن النبى ﷺ رفض أن تصاحبه فى سفر ناقة لعنها صاحبها، وقال: لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة.

فإن كل ما يصيب المسلم يكون تكفيرًا لخطاياه، وعلينا أن نستشعر حكمة الله فى الوجود وحكمته فى التدبير وأن نشكر عند الرخاء ونصبر عند البلاء، وبذلك نفهم قوله ﷺ: «**فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد**».

فإن كل ما يصيب المسلم يكون تكفيرًا لخطاياه، طالما استشعر المسلم حكمة الله فى الوجود وحكمته فى التدبير.

وفى الحديث الشريف: «**ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة**».

ومما لا شك فيه أن الإنسان فى هذه الحياة معرض للابتلاء بأنواع شتى، منها ما يسر ومنها ما يسوء، كما قال جل شأنه:

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (١)

وشأن المسلم أن يشكر عند الرخاء ويصبر عند البلاء..

قال الله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا

(١) سورة الأنبياء: آية (٣٥).

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]

وقال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

***

(١) سورة البقرة: الآيات (١٥٥ – ١٥٧).